الشعر الذى أريده ..

للاديب غائب طعمه فرمان

للكاتب الفرنسي (أندريه موروا) أقصوصة ممتعة ، وجد طريفة .. فحواها أن رساماً أصاب رسومه الكساد ، وأعرض الجمهور عن شرائها والأقبال عليها ، فمرض من هذا الحال ، وغمه الأمر ، وتعاقبت على صدره الهموم .. فذهب إلى صديق أديب يستشيره في الأمر ، ويطلب حكمته في ساعة الحرج وإختلاف المصائب عليه ! ، فأوعز إليه الأديب الأريب أن يغير أساليبه في الرسم ، ويعقد ما وسعه التعقيد ، ويغمض مسرفاً في الغموض ، فبدلا من أن يرسم وجهاً فيه لألاء الجمال ، وفتنة التناسق ، وإغراء الواقع ، يشذ فيرسم وجهاً ذا أربع أعين وأنفاً تحت فم كبير ، وأذناً ملتصقة في الجبين !! .. وهكذا يطلق لمخيلته العنان ، ويصفع وجه الواقع ، ويلعن أبا الحقيقة ! . وعجب الرسام المسكين من هذا الاقتراح ، وعده مزاحاً ودعابة لولا لهجة الأديب الصادقة ، وحماسه الملتهب !

وقفل الرسام إلى مرسمه عاملا بنصيحة الأديب ، مبدياً كل شذوذ واغراب ، حتى إذا تم له الأمر ، وهيأ صوراً غامضة مغرقة في الغموض أعلن بمساعدة الأديب في الصحف عن ميلاد رسام عبقري من طراز غريب ، سيبدل مجرى الفن ، تقف الانسانية مذهولة مما أنتجه .. كما أعلن أن هذا الرسام العبقري الفذ سيفتتح معرضه في اليوم الفلاني !

وأثار الاعلان فضول الناس ، وحبهم لكل عجيب وغريب ، وتهافتهم على مواطن الشذوذ والغرابة ، فاذا بالمعرض يزدحم بآلاف من الناس ، كلهم دهش من هذه الصور العجيبة ، قادح زناد ذهنه ليظفر بالغاية منها ! .. والظاهر أن الأديب كان من طراز

وابن الوليد ومدحهما . وله ترجمة في الأغاني في أول الجزء الخامس عشر .

ومن شعره قوله (كما في شرح نهج البلاغة) :

زعم ابن سلمى ضرني حلمى ... ماضر قبلي أهله الحلم
إنا أناس من سجيتهم ... صدق الحديث ورأيهم حتم
لبسوا الحياء فأنت تحسبهم ... سقموا ولم يمسسهم سقم
أني وجدت العدم أكثره ... عدم العقول فذلك العدم
والمرء أكثر عيبه ضرراً ... خطل اللسان وصمته حكم

أما بنو لهب بالكسر فهم قبيلة من الأزد في اليمن تنسب إلى لهب بن أحجن بن كعب بن الحرث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد ، وهم أهل العيافة والزجر ، وفيهم يقول كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

تيممت لهبا أبتغي العلم عندهم ... وقد رد علم العائفين إلى لهب

ويقول غيره :

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا ... مقالة لهبي إذا الطير مرت

فهم بعيدون عن أن يفتخروا بمثل الأبيات التي في المجالس ص ٦٠٠ وإنما يفخر بها آل بيت النبوة . على أن هذه الأبيات تنسب أيضا للفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم كما في معجم المرزباني نقلا عن أبي بكر الباقلاني وقد شهد الفضل هذا يوم الفتح وحنين وثبت معه صلى الله عليه وسلم حين انهزم الناس وشهد معه حجة الوداع وكان رديفه يومئذ وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة ٢٨ هـ

(تنبيه) عقبة بن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي ممدوح أبي الشيص المتقدم من أسرة سرية ، وجده جعفر كان من أماثل بغداد وسراتها وكان أخوه العباس بن جعفر من ولاة الأعمال للرشيد ، ولدعبل فيه مدائح كثيرة ، وكان ابنه الفضل بن العباس ابن جعفر بن محمد بن الأشعث الخزاعي الكوفي أديبا شاعراً ولي الأعمال الجليلة في الدولة العباسية وكان مع هذا قائداً مظفراً منصوراً (معجم المرزباني ص ٣٢٢) .

وأختم القول كما بدأته بأن أهدي الثناء الجميل والشكر الجزيل للاستاذ النابغة البارع (عبد السلام) ومني عليه أطيب التحية وأذكى السلام

أحمد يوسف نجاتي

الأستاذ سابقاً بدار العلوم وكلية اللغة العربية ثم بدار المعلمين وكلية الملكة عالية بمدينة بغداد

٣٢ ، ٣٤

عجيب أيضاً فى الحيلة وسمة الدهاء ، فقد عرف أن الجمهور لا بد من أنه سيسأل الرسام عن حقيقة هذه الرسوم ومغزاها البعيد المدى ، فلا بد من جواب مدهش ، فاتفق الاثنان على أن يكون الجواب : « هل رأيت فى حياتك نهراً ؟! » . وقد وقع ما كانا ينتظرانه ، فقد سئل الرسام عن هذه الرسوم فوقف وقفة صارمة ، وقال بلهجة غامضة « هل رأيتم فى حياتكم نهراً ؟! » وانصرف ، تاركا الجمهور المسكين فى غيبوبة عن الوعى ، مذهولا مما يرى ... سبحان الله ! إن هذا الرسام لمن طراز أعجب من العجب . ما أشد غرابته ، وما أشذ سلوكه ، وما أعجب تفكيره .. لا .. لا .. لا بد أن يكون من وراء جوابه الغامض سر خطير تكمن فيه العبقرية والموهبة الفلسفية ، ولا بد من أن يكون لهذه الرسوم معان غامضة لا يستطيع العقل المتوسط أن يدركها ، ويبلغ شاطئها الساحرين . وفى اليوم التالى كانت الصحف تتحدث عن مولد هذا الرسام العبقرى العظيم !!

وأغلب الظن أن بعض إخواننا الشعراء يؤمنون بهذا المبدأ إيماناً مفرطاً تتداعى أمامه كل حقيقة من حقائق الدنيا .. ومع أن الزمن يتقدم ، والحياة تعرض علينا فى كل يوم شيئاً جديداً ، فان الاخوان — حفظهم الله — يدخلون فى هيا كل غزلهم ، ويطلقون فى جنباتها بخور الأحلام العاجزة ، والأوهام الواهية ، ويعيدون على مسامعهم قصة الرسام وطريقة ظفره بالشهرة وذيوع الصيت يحاولون تقليدها بتكلف الغرابة وافتعال الغموض ..

هؤلاء الناس يجب أن يسقطوا من حساب الشعراء ، فهم كالنباتات الطفيلية تعيش فى رياض الأدب الفيحاء ... والحياة ذاتها لا تقبل هذا الغموض فهى دائماً سهلة المأخذ ، طيعة الفكر . وكل شذوذ عن الحياة ومخالفة لنطقها يخفى نقصاً فى الإدراك ومرضاً فى القلب .. وخير العواطف الانسانية وأعمقها وأكثرها صدقاً ، وأرحبها آفاقاً تلك التى تصدر عن قلب سليم حساس .

إذن فنحن مطالبون بإهمال هذا الغموض ، وإسقاط كل تعقيد من الشعر ، لأننا بذلك نسقط كل تكلف وكذب ومراوغة وشذوذ .. والبساطة تحيط بنا أينما سرنا ، فآفاق الشاعرية فى الكون الجميل المتناسق العذب النغمات ، وفى أعماق النفس البشرية التى لا تجدفيها إلا كل سهولة ويسر لا فى تلك النوبات الهستيرية عند بعض خلق الله ! ولا وراء اللعب بالألفاظ ، والتقعر فى المعانى ، وخوض اليم لإستخراج الصور الغريبة . . وأعذب النغمات تلك التى تنساب فى اتساق ونعومة ؛ تلك التى تغمر القلب الانسانى بفيض من العذوبة والحنان ؛ تلك التى تعمر الجانب الهدم من الانسانية بمعاول البغضاء والشنآن !

ودعاة الغموض فى الشعر مشغوفون لحد الجنون بالصور الشعرية يخلقونها من أية مادة كانت ، ويتناولونها من أى نوع من المياه حتى ولو كانت مستنقعاً ، ويسلكون إليها سبلا مليئة بالأشواك ! هم يحاولون أن يخلقوا عوالم جديدة من الصور ولو كان أساسها من رمال ، وجدرانها من قش !! هؤلاء ليسوا بعيدى النظر ، ولا دقيق التفكير ؛ لأنهم يبدأون عملهم الأدبى من حيث يجب أن ينتهوا إليه ؛ فلا يدركون قيمة الألفاظ ولا قدسيتها ، فقد أقعدهم العجز وفساد الطبع عن استكناه العوالم التى تخلقها الألفاظ . فاللفظ الشعرى إذا وضع فى موضعه واتسق مع موسيقاه ومعناه الوضعى خلق وحده صورة شعرية جميلة تنطلق فى الاجواء الوجدانية بشائر لأحاسيس جديدة . والشاعر الحق كما يقول شارلتن « من تميز عن سائر خلق الله بإدراكه لقيمة الألفاظ ، ولما فيها من قوة وإبداع » فهم — إذن — فى نظر شارلتن ليسوا شعراء !

وما دامت آفاق الشاعر فى الحياة والكون وليست فى الألفاظ التائهة والتعابير العمياء فهو مكلف بخلق أشياء جديدة أو قل نغمات جديدة .. فلقد آن لنا أن ننادى بإخراج الشعر العربى من القوالب القديمة التى تصب معانى متبلورة لا طعم لها ولا لون ! لقد آن لنا أن نفهم أن القصيدة الشعرية صورة لتجربة وجدانية لا خلاصة من خلاصات التجربة . صورة يجب أن تبرز فى جميع معالمها ، وتتآلف جميع ملامحها وألوانها فى التعبير عن التجربة الشعورية .. فالتجربة الشعورية ليس القصد منها استخراج قانون ، أو الاستفادة من موعظة ! فتلك وجهة نظر الاخلاقيين لا الشعراء .

والشعر العربى فقير إلى الإخراج . ومن هنا انفتح باب كبير شغل النقاد العرب زمناً طويلا وهو (باب السرقات) . . ذلك لأن تلك المعانى المودعة فى ألفاظ قليلة كمعانى حكية ، أو كنتائج لتجارب وجدانية مجهولة ، سهلة السرق يتصرف بها أى شاعر

ويبقلها في ثوب جديد !

أنا مؤمن بأن النفوس الانسانية تتغاير سمات وملامح، وتختلف أمزجة وطبائع .. فمن الحماقة تطبيق علم النفس على التجارب الوجدانية . وإذا كان لا بد من استعماله بعض الشيء فيكون بعد انتهاء التجربة على النصوص الأدبية لا قبلها لإدراك بعض الخصائص العامة فحسب .. ونحن سنجد أن احتفال الشاعر بطريقة من طرائق التعبير أو بلفظ من الألفاظ الشعرية راجع إلى مخيلة نفسه وطوايا ضميره . وقد لاحظ النقاد أن «بودلير» كان يستعمل كلمة «أسود» وما يؤدي معناها كثيراً في شعره . ولا شك في أن هناك صلة وثقى بين حياة بودلير البوهيمية الصاخبة وخروجه من معترك الحياة محطم النفس، خائر القوى تتناهبه عوامل السأم والضجر والخيبة المريرة، وبين تلك الألفاظ التي تعبر عن واقع حاله وآلام نفسه .. وكذلك كان أوسكار وايلد الذي لقى من المجتمع اضطهاداً منكراً، وجبروتاً مؤلماً، ونفوراً مقيتاً، تراه يستعمل لفظ (المجتمع الحاضر) أو العصر الحاضر كثيراً في مسرحياته وأقاصيصه، ويستعمله بسخط وازدراء، وفي موضع تشف وانتقام وكراهية !

وما دام الأمر كذلك فإننا سنجد عند الشعراء العظماء شخصية فنية متمايزة بخصائصها لها لونها الخاص، وكيانها المحدد وأدع القارىء يفتش عن الشخصية الفنية بين هذا الجمع الزاخر من المتشاعرين لعله يظفر بما لم أظفر !!

الحق أن الشخصية الفنية في خطر . وإذا قلنا هذا فقد قلنا إن الشعر العربي يمثل الآن مجاعة في الوجدان .. إن الشعر العربي يقاسي أقسى أزمة؛ ذلك لأن الذين يعالجون قرض الشعر لم يفهموا حتى الآن ما يسمى بالصدق الوجداني .. فهم لا ينفذون إلى أعماق نفوسهم ليكتبوا عن انعكاسات العالم فيها، واستجاباتها لما يحيطها من الأشياء .. بل عاشوا كالأوراق اليابسة فوق السطح ليجتروا عواطف غيرهم، ويعيدوا على مسامعنا تجارب الآخرين بصورة مشوهة، ونعم بال .. واختفت في عالم الشعر الشخصية الفنية ولاح شاعر واحد لجم بشيء لا أعرفه فظل يبكي بدموع غزاراً

وأصبح نقادنا — حفظهم الله — يطلقون الألقاب جزافاً، ويصفون الشعراء صفات مبهمة . وأصبحت كلمات الابداع والعبقرية والصدق والرفعة في الأسلوب، والسمو في العاطفة حقيرة رخيصة تباع بالجملة في أسواق الوساطة والشفاعات

يخيل إلي أننا لم نظلم كلمة مثل ظلمنا لكلمة «العاطفة» فقد شاء ربك أن تصبح هذه الكلمة القدسية مبتذلة تلوكها الألسن، ولا نفهم حقيقتها المعقول ! . نحن نصف العاطفة بالصدق تارة، وبالضيق أخرى، وبالإبهام تارة أخرى .. فما هي تلك العاطفة ؟!

العاطفة عندي هي الإدراك الوجداني تقابل الفكر وهو الإدراك العقلي .. فالعاطفة هي العين التي تهدينا قلبياً إلى ينبوع من الحقيقة والجمال .. ونحن في حياتنا الوجدانية نستشير قلوبنا أكثر مما نستشير عقولنا!! وما دامت العاطفة إدراكاً وجدانياً فهي تختلف آماداً، وتتباين في عمقها واتساعها .. فهناك إدراك ضيق مريض يدور حول نفسه ولا يخرج إلى رحاب الانسانية الطليقة؛ كذلك الادراك الوجداني القائم على اللذة وحب الذات حين ينشأ الحب بين فتى وفتاة ينحصر في حدود ذاتيهما، ويتلون بلون مزاجيهما؛ فذلك اللون من الإدراك أناني مفرط في الأنانية . ونحن نعلم حين يصاب شاعر من شعرائنا بهذا المرض الوبيل يبيع العالم بثمن بخس، ويخيل إليه الوهم والادراك الضيق أن العالم كله في كفة، وهو وحبيبته في الكفة الأخرى ! . وكم من شاعر قدم العالم المسكين قرباناً لقدمي محبوبته بوقاحة وعدم مبالاة كأن لديه مصائر البشرية ...

لهذا فأنا أحقد على هذا الحب؛ أولا، لأنه إدراك فاسد وأنانية محضة، وثانيا، لأنه قصير الأجل يترك وراءه حقداً على العالم وكراهية للبشرية، وثالثاً : لأنه يصرف الشاعر عن الادراك الكلي للوجود، ويسجنه في دائرة لا تتعدى محبوبته فيظل يسبح بحمدها، ويقدسها إلى حد العبادة .. وهو بعد ذلك لا يخلو من كذب ورياء ومبالغة وخداع !

فأنا أكره هذا الحب الضيق كما أكره التعقيد .. بل أريده حباً أوسع أفقاً، وأبعد غوراً، وأرفع إدراكاً .

أنا لا أنكر على الشاعر أن يحب، وأن يفرط في الحب، وأن يضطرم بين جوانحه عواطف وأحاسيس، وأن تنبت في روض مخيلته آمال وأحلام .. ولكن الجميل في الشاعر أن يحمل من حبه المحدود الضيق وثبته إلى عوالم جديدة من التعاطف الوجداني .. أن ينبثق في أعماقه ذلك الهيام الصوفي في حب أعم وأكثر شمولاً،

وأوسع عاطفة فيتحول غزله إلى معنى رمزى جميـــل هو حب الانسانية كلها والوجود جميعه .. هنالك تشرق فى دنياه شموس من الأمل والرجاء.. هنالك يحلق فى سماوات من الرفعة والسمو، وتصبح كل قصيدة من قصائد شعره كما قال شارلتن « كشفاً جديداً وتنبؤاً لحوادث المستقبل » .

لا بأس بأن يتغزل ، وأن يرسل من أعماق قلبه نغمات [illegible] من حرارة روحه رحيقاً لأرواحنا الظامئة — دائماً — إلى الخمرة الخالدة . خمرة الحق والجمال! وعند ذلك يولد الشعر الذى يستحق أن ينشد فى موكب الانسانيـة وهى سائرة قدماً إلى الشاطئ الجميل .. والانسانية دائماً مشتاقة تواقه إلى مثل هذا الشعر كما تحتـاج الجموع المجهدة إلى الراحة والظل الظليل ، وكما تتوق النوق الظامئة إلى النمير العذب ..

هناك تتحطم الحدود أمام الشاعر، وتزال العقبات ، وتصبح روحه ملكاً للبشر جميعه لا لوطن بعينه ولا لأمة واحدة .. وحينئذ تختفى أمامه أشباح الحزن والقنوط ، وتلوح لناظريه بشائر الأمل والرجاء الجميل ، ويأنف من البكاء — كالأنثى !! — على أطلال آمال ضيقة ، وأحلام حمقاء ! وهذا ما نراه عند الكثرة المطلقة من شعرائنا الأكرمين : عويل وبكاء كأنهم فى مأتم يندبون الدنيا التى أوشكت أن تزول ... وليتهم كانوا صادقين يعبرون عن وجدان يشعرها فى الدنيا من متناقضات ، ويبكى على معانى الخير والحق والجمال .. ولكنهم كالنائحات المستأجرات ينوحون فى كل مأتم ، ويبكون إثر كل ميت ، ويذرفون الدمع كأرخص ما يكون الدمع ، وأسخف ما يكون البكاء !!

هؤلاء يظنون البكاء نغماً جميلا يأخذ سحره بالألباب ! ، وان البكاء عبقرية وفهم بينما البكاء يقترن دائماً بمعنى الجهل وقصر النظر، وضعف النفس ، وأنوثة الخلق وما إلى ذلك.. والبكاء — كما قيل — أسهل بكثير من الغبطة والإنشراح .. ذلك لأن النفس مكلفة بالإدراك الكامل ، واستعمال العقـــل والدراية حين تضحك ويصيبها الانشراح ، بينما البكاء لا يكلفها إلا دعك العينين لاستخراج الدموع !

والبكاء بعد ذلك معنى ضيق يتصل بمطالب الذات ، ومسراتها الفانية فى حين أن الانسانية دائماً تسير نحو النور .

ليت شعرى ألا يوجد فى العـالم العربى شاعر واحد يحس بالانطلاق ، ويتحرر من ربقة الأوهام ، ويحطم تلك الأبراق التى أزعجتنا وناحت على مأتم لا وجود له ، ليملأنا بالأمل ، وينشد لنا أناشيد [illegible]

إن الشعر كما أريده إدراك واسع للكون والنفس الانسانية، وألوان مختلفة من الشعور ، وعمق فى الإحساس لا تحدده غاية قصيرة ، ولا تستبد به أوهام عاجز مقبول، وتعبير رفيع من غرابة ولا تعقيد ، ونغمات تفصح عن طوايا النفس تشعر بالأمل ، وتسرى فى أرواحنا عذوبة غامرة ، وفيضاً من الاطمئنان العميق .

سيقول بعض الناس : إنك تقيد الشاعر ، وتسلبه حريته فى التعبير . وجوابى على هؤلاء أنه لو كانت الحرية غلواً فى التعقيد ، وشذوذاً فى التعبير، وتكلفاً مقيتاً ، ولهواً بالقشور ، والوقوف على أى طلل للبكاء والنحيب ، والإندفاع وراء كل رغبة مجنونة ، فلتذهب الحرية إلى الشيطان

غائب طعمه فرمان

دفاع عن البلاغة

للاستاذ احمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع أبلغ دفاع فيذكر أسبـاب التنكر للبلاغة ، والملاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، والذوق ، وآلة البلاغة ... الخ

والذوق من فصوله المبتكرة المعروفة ، العامية الأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغه من هؤلاء وأولئك .. الخ

يقع فى ٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد